مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة الثانية والعشرون – العدد 76 – 30-12- 2025م

Volume 22 - issue no. 76 - 30/12/2025

الصفحات: 63 - 93 Pages: 63 - 93

وصف النار وعذابها في قصار المفصل

جمعًا ودراسة

The Description of Hell and its Torment in the Short Surahs of Mufassal

–A Collection and Study–

DOI: https://doi.org/10.55625/20257603

د. عبد الله سليمان العمير

Dr. Abdullah bin Sulaiman Al-Omair

أستاذ مساعد في كلية القرآن الكريم – الجامعة الإسلامية

Assistant Professor, College of the Holy Qur'an, Islamic University of Madinah

Email: ab6642@hotmail.com

تاريخ الاستلام – Date of Receipt - 2025/09/30

تاريخ القبول - Date of Acceptance - 2025/10/08

اعتمادات

تأليف: د. عبد الله سليمان العمير
أستاذ مساعد في كلية القرآن الكريم – الجامعة الإسلامية

Dr. Abdullah bin Sulaiman Al-Omair
ustadh musaeid fi kuliyat alquran alkarim aljamieat al'iislamia'
(ab6642@hotmail.com)

وصف النار وعذابها في قصار المفصل
«جمعًا ودراسة»

The Description of Hell and its Torment in the Short Surahs of Mufassal
-A Collection and Study-

DOI: https://doi.org/10.55625/20257603

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٩/٣٠ / تاريخ القبول: ٢٠٢٥/١٠/٨

الملخص:

هذه الدراسة الموسومة بـ: «وصف النار وعذابها في قصار المفصل - جمعًا ودراسة»، عنت بقصار المفصل؛ كونها أكثر سور القرآن قراءة وحفظًا بين المسلمين، عالمهم وعاميهم؛ ولأن كثرة قراءتها بين المسلمين أصابتهم بداء الاعتياد، فبات المرء يقرؤها ولا يتدبر في معانيها، فهدفت لقرع باب النذير والتحذير للناس من خلال ما اعتادوا عليه، وقد قامت هذه الدراسة على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، تم تقسيمها إلى مبحثين؛ الأول: في وصف النار، وتمت دراسته في ثلاثة مطالب، والمبحث الثاني: فلأوصاف عذاب النار ومستحقيه، وتمت دراسته في سبعة مطالب، وتوصلت إلى نتائج أبرزها أن العذاب في النار لا يقتصر على العذاب الجسدي المادي؛ بل فيها عذاب نفسي معنوي، وأن ما ورد في قصار المفصل من عذاب لسبب خاص في ظاهره، فقد ثبت له وجه آخر يفيد العموم، وتوصي هذه الدراسة بدراسة الأحكام الشرعية التكليفية في قصار المفصل نظرًا لانطباق الأهمية التي قام عليها هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: وصف النار - العذاب - قصار السور - المفصل.

Abstract:

This study, titled "The Description of Hell and its Torment in the Short Surahs of Mufassal - A Collection and Study," focuses on the short surahs of Mufassal due to their frequent recitation and memorization among Muslims, both scholars and laymen. However, the repetition of recitation often leads to a lack of contemplation on their meanings. This study aims to alert and warn people through the exploration of these surahs, which they are accustomed to. The research methodology employed is based on inductive and analytical approaches, divided into two main sections: the first section describes hell, studied through three subtopics, and the second section covers the descriptions of hell's torment and those who deserve it, studied through seven subtopics. The study concludes with several findings, most notably that the torment in hell is not limited to physical punishment but also includes psychological and spiritual suffering. It also highlights that some descriptions of torment in the short surahs of Mufassal, though seemingly specific, have broader implications. The study recommends further exploration of the legal rulings in the short surahs of Mufassal due to their relevance and importance.

Keywords:

Description of Hell, Torment, Short Surahs, Mufassal.

المقدمة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف: ١-٢)، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الكبير، وعلى من تبعهم بإحسان، إلى يوم تغلق فيه الصحف ويتحقق النذير.

وبعد.

لم تكن الدنيا دار بقاء، وإنما هي دار زرع وغراس، ينبت، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠)، فمن زرع خيرًا حصد ثماره، وكانت الجنة مستقره وقراره إلا من شاء الله، ومن زرع شرًا حصد ثماره، وكانت النار مستقره وقراره إلا من شاء الله، وأخبار الآخرة من الغيبيات التي لا يعلمها الإنسان إلا عن طريق الوحي، فلا نعلم ما هي الجنة وما أودعه الله تعالى فيها من النعيم المقيم إلا بالوحي سواء كان قرآنًا أم سنة، والنار من مواطن الآخرة فلا نعلم ما هي وما أدعه الله فيها من صنوف العذاب إلا عن طريق الوحي، وإن نصوص الوحي من حيث معرفة الناس بها حفظًا وقراءة وفهمًا على مراتب، وإن كان الوحي المتلو (القرآن الكريم) أكثر دورانًا على ألسنة

الناس وأسماعهم، فإن سور قصار المفصل أكثر الوحي بنوعيه حفظًا وتلاوة، بين الناس عامهم وخاصهم، عالمهم ومتعلمهم وأميهم، ولهذا رأينا أن نقوم بدراسة تدبرية فيها عن أخبار النار، بأوصافها وصنوف العذاب فيها، ومعرفة مستحقيها دراسة موسومة بـ: وصف النار وعذابها في قصار المفصل - جمعًا ودراسة.

أهمية موضوع الدراسة:

من الثابت أن كل دراسة تتعلق بالقرآن تنال شرفًا وأهمية منه بقدر تعلقها به، وهذه الدراسة أحدها، إلا أن أهميتها الخاصة تكمن في:

انطلاقها من نصوص الوحي التي تتردد على ألسن الناس بكرة وعشيًا فألفوها، لتلفت الانتباه إلى ما فيها من أخبار معادهم، وما أعده الله للكفرة والعاصين، وأسباب استحقاق العذاب، لتمثل بذلك صعقًا ذهنيًا يوقظ الغافلين من سبات الألفة - إن شاء الله.

تُعد سور قصار المفصل مفاتيح لعلوم القرآن، وجوامع الكلم لعمومه، والدراسة في أحد موضوعاتها مظنة لدراسة هذا الموضوع من عموم القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

تعد أهمية الموضوع أحد أسباب اختيار الدراسة فيه وأهدافها.

اعتياد الناس على تلاوة سور قصار المفصل ما جعل التدبر فيها شبه منعدم، يجعل من المحتم على كل عالم وباحث أن ينبههم لما غفلوا عنه.

إن اختيار وصف النار وعذابها من بين موضوعات سور قصار المفصل ناشئ عن المعرفة أن أهم أسباب الغفلة هو التواكل والرجاء، فكان اختيار النقيض وهو النذير باعثًا لعقيدة الخوف عسى أن يكون ذلك سببًا للموازنة بين الرجاء والخوف.

حدود الدراسة:

تختص هذه الدراسة بالآيات المتعلقة بالنار الواردة في سور قصار المفصل ابتداء بسورة الضحى (رقم: ٩٣)، وانتهاء بسورة الناس (رقم: ١١٤) بحسب ترتيب المصحف الشريف.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبع قواعد البيانات التي بين يدي، وإدخال عنوان الدراسة ومرادفاتها ومقارباته كألفاظ مفردة أو اسم مركب في محرك البحث (جوجل) لم أجد أي دراسة مطابقة لهذا البحث، مع وجود الدراسات المقاربة، وأبرزها:

الأولى: الجنة والنار، لـ: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، أستاذ كلية الشريعة في الجامعة الأردنية سابقًا -عمان الأردن- رحمه الله، وهي دراسة عقدية ركزت -في جانب تقاربها مع دراستنا -على إثبات النار وعذابها عمومًا، وبعض الأسباب التي توجب النار، تناول من

قصـار المفصـل: ما تدل عليه آيات القارعة من تهويل للنار، وتسميـة النار بالهاوية، ومن الهمزة أبـواب النار المؤصدة، واطلاع النـار على الأفئدة، ومن المسد ذكر أبا لهب وامرأته أنهم من أهل النار.

وانفـردت دراستنـا عنهـا، بالاختصـ ـن بالنـار وأوصافها في قصـار المفصـل، والبيان التفصيلـي لمـا جاء في هـذه الدراسة، مع بيان مستحقـي العذاب فيها، واستكمـال دراسة ما لم تتناوله كذلك، وتميزت بدراسة أقرب مواضع الوعيد والنذير لأذهان الناس.

الثانية: التفسير الموضوعي الميسر للفاتحة وقصار المفصل، لـ: الدكتور محمد عبد العزيز العواجي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن والدراسات الإسلامية، وهي دراسة تفسيرية، ومع اتحاد دراستنا معها في الإطار الموضعي، إلا أن الدراستين مختلفتان شكلًا وموضوعًا:

أما شكلًا: فإن هذه الدراسة قامت على مراعاة الموضع؛ حيث تناولت سورة الفاتحة وقصار المفصـل كل سورة بمفردها بموضوعاتها المتنوعة؛ أي: أنهـا منصبة للعناية بموضوعات السور، وهـذا لا يجعلهـا تختلف عن غيرها من التفاسير الأثرية، إلا في حسن الصياغة والتقسيم وحداثة العرض، أما دراستنـا فقامت على مراعاة الموضـوع؛ حيث تقوم على استنبـاط المعنى الخاص بوصـف النار وعذابها، وجمـع النصوص الدالة عليه من قصار المفصل ثـم دراسته بناء على ما تدل عليه الآيات.

وأما موضوعًا: فإن هذه الدراسة شاملة لكل مواضيع سور قصار المفصل، ودراستنا خاصة فيما يتعلق بأوصاف النار وعذابها.

وقـد أدت هـذه المفارقة بين طبيعة الدراستين إلى اختـلاف بينهما في دراسة صفات النار وعذابهـا جوهـرًا ولبًا، فهذه الدراسـة تعتني بظواهـر النصوص، ولهذا فقد جـاءت موضوعاتها مستفـادة من عبارة النص، أما دراستنا فتعتني بالمعاني فجاءت موضوعاتها مستفادة من عبارة النصـ وإشارته وتنبيهه وتعليله، وعليه استقلـت دراستنا بمواضيع لم تتناولها هذه الدراسة، وهي على وجهين:

أحدهـا: ممـا قمنـا بدراسته كمواضيـع أصلية: الخلود، سـواء كونه صفة للنـار أو نوعًا من أنـواع العذاب، وكذلك العذاب النفسي، وبعض أوصاف النار وأسمائها كجهنم والجحيم، وتطويق الأعناق بالقيود ونحوها، فهذه لم تتناولها لا أصالة ولا تبعًا؛ لأن ذكرها في هذه السور جاء طرديًا غيـر مقصود بظواهر النصوص، وبيانها يقوم على دلالة الإشـارة وليس على دلالة العبارة، ولهذا أهملت.

ثانيهـا: ممـا قمنا بدراسته كمواضيـع تبعية مكملة: كل ما جاء تبعًـا للمواضيع الأصلية التي أهملتهـا هـذه الدراسة، وكذلك تعليل العـذاب لمعرفة مستحقيه، وبيان مـا إذا كان خاصًا بسبب الورود أم عامًا؛ كمستحقي السفع أو الأخذ إلى جهنم، ومستحقي الخلود، ومستحقي ربط الأعناق،

نظرًا للعلل المشتركة، وإنما اهتمت هذه الدراسة بالتعليل الصريح.

وفي المجمل فإن بين الدراستين عمومًا وخصوصًا، فهذه الدراسة عامة لجميع مواضيع سور قصـار المفصل، ودراستنا خاصـة بموضوع وصف النار وعذابها، ثـم إن دراستنا عامة من حيث معرفـة وصف النـار وعذابها الذي دلت عليه هذه السور بعبارتهـا وإشارتها وتنبيهها وتعليلها، أما هذه الدراسة فما تناولته من وصف النار وعذابها فمقتصر على ما دلت عليه السورة بالعبارة.

وعلـى كل حـال فالقرآن بحر لا ينضب، ونهر لا يـرد واردًا، فما أن يتوقف الأول عند شيء إلا وجاء اللاحق ليضيف إليه أشياء، ويستدرك أخرى.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ كالآتي:

المنهـج الاستقرائي: من خلال تتبـع نصوص الوحي المتلو التي تتحـدث عن النار وعذابها ضمن حدود الدراسة، وجمعها.

المنهـج التحليلـي: من خلال دراسـة النصوص التي تم جمعها، ومعرفـة معانيها في وصف النـار وعذابها عند أهـل العلم، وأسباب استحقاق العذاب، أجارنا الله مـن النار وعذابها وسلمنا من أسبابها.

هيكل البحث:

المقدمة: وفيها: أهمية موضوع الدراسة، أسباب اختيار الموضوع وأهدافه، حدود الدراسة، الدراسات السابقة، منهج الدراسة، هيكل البحث.

المبحث الأول: وصف النار في قصار المفصل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ما جاء في أسمائها.

المطلب الثاني: ما جاء في وصف جوهرها.

المطلب الثالث: ما جاء في وصف حرها.

المبحـث الثاني: أوصـاف عذاب النار الواردة في قصار المفصـل ومستحقوها، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الأخذ بالناصية والسحب في النار ومستحقوه.

المطلب الثاني: الخلود ومستحقوه.

المطلب الثالث: الهوي في النار ومستحقوه.

المطلب الرابع: العذاب النفسي.

المطلب الخامس: الويل ومستحقوه.

المطلب السادس: وصول العذاب إلى الأفئدة.

المطلب السابع: تطويق الأعناق بالقيود ونحوها.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: وصف النار في قصار المفصل.

إن صفات النار التي وردت في سور قصار المفصل خصوصًا وفي القرآن عمومًا إما أن تكون وصفًا لوقيدها ووهجها، أو وصفًا لجسمها وجوهرها، وقد اشتقت لها أسماء من هذه الأوصاف، وما جاء منها في قصار المفصل نبينه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ما جاء في أسمائها

لقد سميت النار بأسماء مشتقة من صفاتها، ومما جاء من هذا النوع من أسمائها في قصار المفصل (جهنم، الهاوية، الجحيم، الحطمة)، وهذه أربعة، اثنان منها مشتقان من جوهرها وآخران من لهبها، وبيانه:

الأول: جهنم، جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦]، ومصدره قيل: إنه اسم أعجمي معرب، وقيل: هو اسم عربي، وسميت نار الآخرة به لبعد قعرها[١]، يقال: «بئر جهنام إذا كان بعيد القعر، فكأنه تعالى يقول: تكبروا طلبًا للرفعة فصاروا إلى أسفل السافلين»[٢].

الثاني: الهاوية، جاء في قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾ [القارعة: ٩-١١]، «سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها، روي أن أهل النار تهوي بها سبعين خريفًا»[٣] لأنها «تهوي به؛ حيث لا يكون له ثبات ولا قرار»[٤]، «والمهوى والمهواة: ما بين الجبلين، وتهاوى القوم في المهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض»[٥]، وإنما جعل النار أمَّه، لأنها صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها، بمنزلة أمّ له»[٦].

الثالث: الجحيم، جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، وأصلها «ما عظم من النار»[٧]، الجحيم نار على نار وجمر على جمر، وجاحمة شدة تلهبه وجاحم الحرب أشد

---

(١) انظر: الأصبهاني، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المديني، «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث»، المحقق: عبد الكريم العزباوي، (ط١، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية) (٣٨٢/١).

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري، «مفاتيح الغيب = التفسير الكبير»، (ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ) (٢٤٧/٣٢).

(٣) أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، «تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، (دار إحياء التراث العربي -بيروت) (١٩٤/٩).

(٤) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، «تأويلات أهل السنة»، المحقق: د. مجدي باسلوم، (ط١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ه -٢٠٠٥م) (٦٠٦/١٠)، والماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، «النكت والعيون»، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية) (٣٢٩/٦).

(٥) الشوكاني، محمد بن علي، «فتح القدير»، (ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ه) (٥٩٥/٥).

(٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، المحقق: أحمد محمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م) (٥٧٦/٢٤).

(٧) مقاتل، بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، «التفسير»، المحقق: عبد الله محمود شحاته، (ط١، دار إحياء التراث بيروت،

موضع فيها، ويقال لعين الأسد جحمة؛ لشدة توقدها»[1]، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أوقد لي النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة)[2] وعنه في مقارنتها بنار الدنيا أن النبي ﷺ قال: (نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم) قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: (إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا)[3].

الرابع: الحطمة، جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦﴾ [الهمزة: ٤-٦]، قال الطبري: «وأحسبها سميت بذلك لحطمها كلّ ما ألقي فيها، كما يقال للرجل الأكول: الحطمة»[4]، وقال القرطبي: «سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه»[5]، وبما يوافق هذا المعنى ما «ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها)[6]؛ بل إن معنى الحديث وإن كان في ظاهره أخص فإنه بمفهومه أعم؛ لأنها إذا أكل بعضها بعضًا من شدة وهجها فإن أكلها لكل ما يلقى فيها سيكون من باب أولى.

ومما جاء في معنى الحطمة أنها الطبقة السادسة من طبقات جهنم، حكاه الماوردي عن الكلبي، وقيل: الحطمة الدركة الثانية من درك النار، وقيل: الدرك الرابع[7].

١٤٢٣هـ.) (٤/٨٢٠).

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، «الفروق اللغوية»، المحقق: محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر). (٢٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى، «السنن»، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخران، (ط٢، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ه -١٩٧٥م)، السنن، باب ما جاء في ناركم هذه، من أبواب صفة جهنم، برقم: ٢٥٩١ (٤/٧١٠)، وضعفه الألباني في تعليقه، وفي ضعيف سنن الترمذي (٣٠٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي) باب شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، من كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم: ٢٨٤٣، ولفظه: (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها) (٤/٢١٨٤).

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٩٨).

(٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين، «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، المحقق: أحمد البردوني وآخر، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م) (٢٠/١٨٤).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري»، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ)، الصحيح، باب صفة النار وأنها مخلوقة، من كتاب بدء الخلق، برقم: ٣٢٦٠ (٤/١٢٠)، ومسلم في صحيحه، باب استحباب الإبراد بالظهر من شدة الحر، من كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم:٦١٧ (١/٤٣١).

(٧) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٨٤)، الماوردي، النكت والعيون (٦/٣٣٦).

المطلب الثاني: ما جاء في وصف جوهرها.

ممـا جاء في قصـار المفصل من وصف لجوهر النـار وشكلها الخارجـي بصريح اللفظ أو بلازمه ما يأتي:

الأول: إن النار أرض سحيقة قعرها بعيد يهوي فيها من ألقي إليها فقد لا يقر لها قرار، وقد رأينا هذا في اسميها (جهنم، والهاوية).

الثانـي: خلودهـا إلى أبد الآبدين وعدم فنائها، وهو لازم من خلود أهلها فيها، يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ إذ لـو لـم تكن باقيـة لا فناء لها لما صح خلود أهلهـا فيها، ومعنى الخلود في النـار المكث واللبث فيهـا بلا خـروج ولا موت[1]؛ حيث «حكم الله في هذه الآية بتخليـد الكافرين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وهم عبدة الأوثان في النار»[2]؛ أي: «ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون»[3].

وهـذا وصـف ظاهـر ورد في القرآن مـرات عديدة، وأكد الخلـود وعدم الفنـاء بالتأبيد في قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

والقول بـ «بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما إلى غير نهاية لا ينافي كون الله عز وجل الآخر الذي ليس بعده شيء؛ لأن بقاء الله عز وجل لازم لذاته، وبقاء الجنة والنار وأهلهما فيهما حصل بإبقاء الله لهما، وليس لهما إلا الفناء لولا إبقاء الله لهما»[4].

وممـا يؤيد القول ببقائها وخلودها مما جاء في سـور قصار المفصل تأويل بعض المفسرين لقولـه تعالـى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَـدَّدَةٍ﴾ [الهمـزة: ٩]، إن «المعنى في دهر ممـدود؛ أي: لا انقطاع له»[5].

الثالـث: إنها سجن لمن دخلها، علمنا هذا مـن قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهمـزة: ٨-٩]، ومعنـى ﴿مُّؤۡصَدَةٞ﴾ مطبقة مغلقة، وقـد قرئت ﴿موصدة﴾ من

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٤٢/٢٤).

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي المحاربي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ) (٥٠٨/٥).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٨).

(٤) البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، «قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (ط١، دار الفضيلة -الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) (١٢٨-١٢٩).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٢٠).

غيـر همز[1]، قال الأخفش: «﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ من أأصـد يؤصد، وبعضهم يقـول: أوصدت، فذلك لا يهمزها»[2].

ولا خـلاف فـي هذا المعنـى، وإنما وقع الخـلاف في كيفيتـه، فقيل: مؤصـدة أي: حائط لا بـاب فيـه، وقيل: أبواب أطبقت وشـدت بأوتاد من حديد نار، حتى يرجـع إليهم غمها وحرها، فلا يفتـح لهم باب، ولا يدخل عليهـم روح، ولا يخرج منها غم إلى الأبد[3]، وعلى هذا الأخير أكثر أهل التأويـل؛ لأن فيه معنى قولـه تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، وهو موافـق للغة قريش، فهم يقولون: آصـدت الباب إذا أغلقتـه، وذكر القرطبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ثم إن الله يبعث إليهـم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار وعمد من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق، وتشد عليهم بتلك المسامير، وتمد بتلك العمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح، ولا يخرج منه غم.... وقيل: أبواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد[4]، وعلى الأخير فإن العمد ستكون صنفًا من صنوف العذاب، ووصفًا من أوصافه.

الرابـع: فيها وادي اسمه الويل، ورد الوعيد به في قصار المفصل في موضعين؛ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعـون: ٤-٥]، قال بعض أهل العلـم: «وَيْلٌ واد في جهنم»[5]، «يسيل من صديد أهل النار وقيحهم»[6]، وهو قول أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- واختاره الطبري.

قـال الماوردي: «فـي الويل ستة أقاويل: أحدهـا: أنه العذاب، قاله ابن عباس، والثاني: أنه التقبيـح، وهو قول الأصمعي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُـمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، والثالث: أنه الحزن، قاله المفضل، والرابع: أنه الخزي والهوان، والخامس: أن الويل واد في جهنم، وهذا قول أبي سعيد الخدري، والسادس: أنه جبل في النار، وهو قول عثمان بن عفان»[7].

وروى الترمـذي والإمام أحمد عـن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قـال: (الويل واد في جهنم يهـوي فيه الكافـر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره)[8]، وروي مثله عـن عطاء بن يسار، وسعيد بن

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٣٠).

(٢) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، «معاني القرآن»، المحقق: هدى محمود قراعة، (ط١، مكتبة الخانجي، ١٤١١ه -١٩٩٠م) (٢/٥٨٤).

(٣) انظر: مقاتل، التفسير (٤/٨٣٧-٨٣٨)، والسمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، «بحر العلوم»، (الشاملة، ترقيم موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير) (٣/٦١٦-٦١٧).

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٨٥-١٨٦).

(٥) السمرقندي، بحر العلوم (٣/٦١٦).

(٦) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٩٥).

(٧) الماوردي، النكت والعيون (١/١٥١).

(٨) الترمذي، في سننه، باب ومن سورة الأنبياء، من أبواب التفسير، برقم: ٣١٦٤ (٥/٣٢٠)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة»، وأحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، «المسند»، المحقق: شعيب الأرناؤوط

المسيب: أن الويل واد في جهنّم لو سرت فيه جبال الدّنيا لماعت من شدّة حرّها[1].

المطلب الثالث: ما جاء في وصف حرها.

حـر النـار هو ما يقع به العذاب، وهو المقصود من خلقها، فمن أوصافه التي مرت معنا، أنه جحيـم لعظمته، ولاجتماع النيران والجمر، فهو نار على نار وجمر على جمر، وأنه يحطم كل شيء وقع فيه من شدة حره ولهيبه.

ومما جاء في وصف حر النار في قصار المفصل قوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١]، وقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦]، وقوله: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣].

أما قوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾؛ «أي: حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير»[2].

وأمـا قوله تعالى: ﴿نـارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾؛ يعنـي: المستعرة، تحطم العظـام، وتأكل اللحم، فلهـذا سميـت الحطمة، وقـد عظمها بحالهـا ووصفها هذا فقـال: ﴿وَما أَدْراكَ مَـا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمـزة: ٥][3]، وقـال مقاتل بن سليمـان: «﴿نارُ اِلَّله الْمُوقَدَةُ﴾ على أهلهـا لا تخمد»[4]، حملًا على المقتضى؛ لأن كل نار لا بد لها من إيقاد، فكان حمل الكلام على ظاهره لا يأتي بفائدة، وذكر الموقـدة سيكون وصفًا بلا معنـى، ولهذا حمله على الاستمرار والتأبيـد؛ أي: إيقادًا بعد إيقاد فلا تخمـد، وبمثله فسره القرطبي؛ فقـال: «أي: التي أوقد عليها ألف عام، وألف عام، وألف عام، فهي غير خامدة، أعدها الله للعصاة»[5].

وأما قوله تعالى: ﴿سَـيَصْلَى نَـارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ «أي: ذات التهاب»[6]، فقيل: بمعنى «ليس لهـا دخان»[7]، وهـو منفي بقوله تعالى: ﴿وَظِـلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعـة: ٤٣]، والظل هو دخان النار[8]، وقال الماوردي: «وفي ﴿سَـيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وجهان: أحدهما: ذات ارتفاع وقوة

وآخرون، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م)، المسند، من مسند أبي سعيد الخدري، برقم: ١١٧١٢ (١٨/٢٤٠)، وضعفه الألباني في تعليقه على الترمذي، وشعيب الأرناؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند.

(١) انظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، «تفسير القرآن العظيم»، المحقق: أسعد محمد الطيب، (ط٣، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ه)(١/١٥٣). محققا، والثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م)(١/٢٢٤).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٤٤٨)، الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٧٦)، والماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦٠٦).

(٣) انظر: مقاتل، التفسير (٤/٨٣٧)، والسمرقندي، بحر العلوم (٣/٦١٦-٦١٧).

(٤) مقاتل، التفسير (٤/٨٣٧).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٨٤-١٨٥).

(٦) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦٤١).

(٧) مقاتل، التفسير (٤/٩١٤).

(٨) انظر: الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، «الجنة والنار»، (ط٧، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م)(٣٢).

واشتعـال، فوصـف ناره ذات اللهب بقوتهـا؛ لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبهـا، الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده»[1].

المبحث الثاني: أوصاف عذاب النار الواردة في قصار المفصل ومستحقوها.

فـي الـكلام عن أوصاف عـذاب النار لا بد من إقرانـه بمن وجب عليهم أو مـن يستحقونه؛ إذ الـكلام هـو لأخذ العبرة والموعظة، وليس لوصف معلم تاريخـي أو مزار سياحي، وإقران صفة العذاب بأهلها سيجر البحث إلى مناقشة بعض المسائل العملية؛ لأن قولك: إن من ارتكب المعصية الفلانية فقد حق عليه العذاب، فأنت تريد أن تعظ الناس وتحذرهم من الوقوع فيها، فإما أن تترك وتكـون مقصرًا فـي دعوتك، أو تقـول وتكون ملزمًا ببيان حجـة كلامك؛ لأن الديـن لا يحتاج إلى الموعظـة بالباطـل، والتهويل بـ ا لا دليل عليه، ثم إن من قـال بغير دليل فهو مفتئت على الله، وقد يكون جرمه أعظم من جرم المعصية المحذر منها.

المطلب الأول: الأخذ بالناصية والسحب في النار ومستحقوه.

المراد بالناصية مقدمة الرأس[2]، وهي أعلى الوجه بين الحاجبين وشعر الرأس، يقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، وفي معنى السفع قولان ذكرهما الطبري، بقوله: «والمعنى: لنسوّدنّ وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجـه، وقيل: معنى ذلك: لنأخذنّ بناصيته إلى النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمـن: ٤١)»[3]، والمعنـى الأول كمـا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمـران: ١٠٦]، وهـو ظاهر اختيار الطبري، وأمـا الثاني فـهو موافق للغة؛ «قـال أهل العربية: ﴿لَنَسْـفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، أي: نقبض، وسفعت ناصيته، أي: قبضت، ويقـال: سفعه بالعصا، أي: ضربه بها، ويقال: أسفع بيده، أي: خذ بيده»[4].

والآيـة نزلت في أبـي جهل لما نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند البيـت وقال له: لئن لم تنته ورأيتـك هاهنـا لأجرنك على وجهك، فأراد بذلك أن يذل رسـول الله ﷺ، فأنزل فيه هذا الوعيد ليذلـه، فقـال: لئن لم ينته عنك، وعن مقالته الشرك ﴿لَنَسْـفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[5]، وبناء على هذا السبب فهل المقصود به أبو جهل فقط، فيكون السفع بالناصية خاصًا به أم لا؟

---

(١) الماوردي، النكت والعيون (٣٦٦/٦).

(٢) الحميري، نشوان بن سعيد، «شمس الـ لوم ودواء كلام العرب من الكلوم»، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخران، (ط١، دار الفكر المعاصر -بيروت -لبنان، دار الفكر -دمشق- سورية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) (٦٦١٦/١٠).

(٣) الطبري، جامع البيان (٥٢٥/٢٤).

(٤) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٥٨١/١٠)، والزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، «معاني القرآن وإعرابه»، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م) (٣٤٥/٥).

(٥) انظر: مقاتل، التفسير (٧٦٣/٤).

الجـواب مبني على معرفة الجواب عن سؤال آخر، وهو: هـل الوعيد الوارد في الآية مضاف إلى الدنيا أم إلى الآخرة[1]؟

فعلـى أنه مضـاف إلى الدنيا، وهو المفهوم مـن حديث أبي هريرة، قال: قـال أبو جهل: هل يعفـر محمـد وجهه بين أظهركم؟ قـال: فقيل نعم، قال: فقـال: واللات والعزى لئـن رأيته يصلي كذلـك، لأطأنّ علـى رقبته، لأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسـول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ علـى رقبتـه، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عَقبيـه، ويتقي بيديه؛ قال: فقيل له: مالك؟ قـال: فقال: إن بيني وبينه خَنْدقًـا من نار، وهولًا وأجنحة؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: (لَوْ دَنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا)[2]، يمتنع إرادة العموم لما ثبت أن عقبة بن أبي معيط قد وضع سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي عند الكعبة[3]، ويؤيد الخصوص سياق الآية من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى﴾ إلى قوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ٩-١٨]، فعن ابن عباس، قـال: كان رسول الله ﷺ يصلـي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلـي، فأنزل الله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ ... إلى قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ٩-١٣] فقال: لقد علم أني أكثر هـذا الوادي نَاديًا، فغضب النبيّ ﷺ فتكلم بشيء، لم يحفظه راوي الحديث، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلـق: ١٧-١٨]، فقال ابن عباس: فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه[4].

أما إضافتها للعموم فيحمل على الوعيد بعذاب الآخرة، وفيه لا بد من معرفة المعاني الباعثة علـى الوعيـد بهذا العذاب، وهي (العبادة عند البيت، مقام النبـوة، قصد الإذلال للنبي ﷺ حال عبادته، وقول الشرك، والتكذيب بالنبوة)؛ فعلى المعنيين الثاني والثالث مجتمعين أو على آحادها منفردة سيكون الوعيد موجهًا لكل من قصد إذلاله ﷺ سواء كان أبا جهل أم غيره؛ لأن الغاية من العـذاب هو الدفاع عن مقام النبوة وصونها، وهذه تفيـد الخصوص بالنبي ﷺ إلا أن يقاس عليه الدعاة والعلماء لكونهم ورثة الأنبياء، فيكون مستحقو الأخذ بالنواصي هم:

الأول: كل مـن ينهـى عن عبـادة الله، لقوله تعالـى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلـق: ٩-١٠]، وقـد ورد الوعيد لهـؤلاء بالخزي والعذاب فـي الدنيـا والآخـرة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَـاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ وَسَعَى فِى خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ

(١) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٥٨٠).

(٢) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٢٥) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب قوله ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰٓ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾، من كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم:٢٧٩٧ (٤/٢١٥٤).

(٣) الخبر أصله في الصحيحين، حيث أخرجه البخاري في صحيحه، باب طرح جيف المشركين في البئر، ولا يؤخذ لهم ثمن، من كتاب الجزية، برقم: ٣١٨٥ (٤/١٠٤)، ومسلم في صحيحه، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، من كتاب الجهاد والسير، برقم: ١٧٩٤ (٣/١٤١٩).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٢٥).

لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

الثاني: كل من يؤذي الدعاة إلى الله، قياسًا للمناسبة كما ذكرنا ؛ بل وإيماءً وتنبيهًا في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [العلق: ١١-١٢]، وقد ورد الوعيد لهؤلاء بالحديث القدسي قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب)[١].

الثالث: كل من كذب بالرسالة وأعرض عنها، لقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق: ١٣]، وقد ورد الوعيد لهؤلاء بهذا العذاب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٧٠-٧٤]، فتوافق وصف العذاب بهذا الذنب مع العقوبة بين سورتي البينة وغافر.

وبهذا يظهر لنا أن الآيات وإن كان سبب ورودها خاصًا، إلا أنها موعظة لجميع الناس، وتهديد لمن يمنع عن الخير، وعن الطاعة[٢]، فألفاظها جاءت بصيغة العموم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ودليل إضافة هذا العذاب إلى النار، وهو قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ (القمر: ٤٨)[٣].

والقصد من هذا العذاب هو الإذلال والإهانة[٤] لما في هذه المعاصي من معاني الكبر والغرور[٥]؛ بل هو الدافع لها، فجعل الله -تعالى- العاقبة نقيض الادعاء؛ ليكون ذلك أشد إيلامًا؛ لاجتماع العذاب الجسدي والعذاب النفسي.

وإذا ثبت أن العذاب مضاف للآخرة، وهو على العموم، فإنه لا ينفي زيادة اختصاص حرمة النبوة، وحرمة المسجد الحرام، فتثبت العقوبة بزيادة الشدة وقوة الجر والأخذ مراعاة لهذه الخصوصية.

---

(١) البخاري، الصحيح، باب التواضع، من كتاب الرقائق، برقم: ٦٥٠٢ (١٠٥/٨).

(٢) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٥٩٩/٣).

(٣) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٥٨٠/١٠).

(٤) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٣٠٨/٦)، والقشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، «لطائف الإشارات»، المحقق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب) (٧٤٩/٣).

(٥) انظر: الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، «التفسير البياني للقرآن»، (ط٧، دار المعارف القاهرة) (٣١/٢)

المطلب الثاني: الخلود ومستحقوه.

مـر معنا أن مـن أوصاف النار خلودها، وقلنا إن خلودها لازم لخلـود أهلها فيها، كذلك هنا فـإن خلودهـم في النار يعني خلودهم فـي العذاب، وقد سبق الحديث عن الخلـود وبيان أدلته من قصار المفصل وغيرها، ويبقى هنا الحديث عن المستحقين للخلود.

ففـي قولـه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْـرِكِينَ فِـى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِيـنَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَـرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينـة: ٦]، «يخبر تعالى عن مـآل الفجار، من كفرة أهـل الكتـاب، والمشركين المخالفين لكتـب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلـة: أنهم يوم القيامة ﴿فِـى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾»[1]، «بعد أن أنحى على أهل الكتاب والمشركين معًا، ثم خص أهل الكتاب بالطعن في تعللاتهم والإبطال لشبهاتهم التي يتابعهم المشركون عليها، أعقبه بوعيد الفريقين جمعًا بينهما، كما ابتدأ الجمع بينهما في أول السورة؛ لأن ما سبق من الموعظة والدلالة كاف في تذليل أنفسهم للموعظة»[2].

وقـال بعض المفسريـن إنـه -تعالـى- لم يقصـد الخلـود لجميع أهـل الكتـاب ولا لجميع المشركين[3]؛ لأنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الأول: مـن بلغتـه دعوة النبي محمد ﷺ وآمن بـه، فهو من المسلمين، له مـا لهم وعليه ما عليهم، يثاب بحسناته ويجازى سيئاته إلا أن يشاء الله.

الثانـي: من بلغتـه دعوة النبي محمد ﷺ وكفـر بها، فهو كافر داخل فـي الوعيد الوارد في الآية.

الثالـث: مـن لم تبلغه دعوة النبي محمد ﷺ إما لأنـه من أهل الفترة؛ وهم كل من مات قبل البعثـة، أو لكونـه يعيش في بلـد تنقطع إليه سبل بلـوغ الدعوة، فهؤلاء وقع فـي أحكامهم الخلاف والجدل، وإن كان الكلام عن أهل الفترة لا يبنى عليه بالنسبة لنا خطاب ولا حكم تكليفي؛ لأن معرفة مراد الله في القرآن لأجل العلم والعمل، وأولئك قد انقطع عملهم، فيبقى معنا معرفة حكم مـن لم تبلغه الدعـوة ممن لا يعيش في بلاد المسلمين، ولم يزر بلاد المسلمين، وخصوصًا العوام من أولئك الناس.

والذي عليه أهل السنة والجماعة أنهم في الدنيا معذورون بجهلهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُـولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، أما يوم القيامة فإنهم هم وأهل الفترة يمتحنون في عرصات يوم القيامة فمن أجاب الداعي دخل الجنة ومن أبى دخل النار، وقيل: إن من مات على

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٨).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، «التحرير والتنوير=تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ) (٤٨٢/٣٠-٤٨٣).

(٣) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٥٩٣/١٠)، والرازي، مفاتيح الغيب (٢٣٨/٣٢-٢٣٩).

الكفـر دخـل النار، ولا فرق بين كافر وكافر، بدلالة عموم آيات الوعيد فـي الكفار كقـوله تعالى: ﴿وَلَـاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًـا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، وقـولـه: ﴿إِن الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقيل: إنهم مخاطبون بما تدركه العقول، أما ما لا طريق لمعرفته إلا السمع فإنهم معذورون فيه[١].

وقد ذكروا وجهًا آخر للتخصيص يكون عليه تقدير الآية «الذين جحدوا من اليهود والنصارى بمحمـد ﷺ وبالقـرآن ومن مشركي مكـة، وثبتوا على كفرهم في نار جهنـم خالدين فيها؛ يعني: دائميـن فيها»[٢]، ويحمل هذا الوجه على تشديد العقوبة والعذاب؛ لأن أهل الكتاب ادعوا أنهم من نسل الأنبياء، ثم تركوا اتباعهم، والمشركون قد ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُـنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، ثم نقضـوا ذلك العهد، فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَـا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِـمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فتركـوا اتباع الصالحين من آبائهم، وكان مشركو العرب من أهل مكة أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرهم؛ فحقه عليهم ألزم وأوجب؛ فشدد على هؤلاء لهذا المعنى[٣].

واشتراك من كفر من أهل الكتاب مع المشركين في الخلود في النار لا يلزم منه اشتراكهما فـي نـوع العذاب وقدره؛ لأن هذا يختلف لتفاوت درجات الكفـر[٤]، وكل من: كُفّر أهل الكتاب وكُفّر المشركين أقبح من وجه دون وجه، فأهل الكتاب كفروا مع علمهم المسبق برسالة محمد ﷺ من كتبهـم، أمـا المشركون فلا علم مسبق لهم، ولكنهم أنكروا الرسالة، وأساؤوا لله -تعالى- وأنكروا وجوده أو أحقيته بالعبودية، في حين أن كفر أهل الكتاب اقتصر على الرسالة[٥].

فـإذا عرفنا وجه العموم والخصوص في أهل الكتـاب والمشركين، فهل الخلود نفسه خاص بمن ذُكِرَ أم أن هناك مخلدين في النار غيرهم؟

إن الخلود في النار ليس خاصًا بالكافرين من أهل الكتاب والمشركين؛ لورود أدلة تثبت خلود غيرهم، منهم:

---

(١) انظر: الحليمي، الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني، «المنهاج في شعب الإيمان»، المحقق: حلمي محمد فودة، (ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م) (١/١٧٥)، والظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٥٠-٥١)، وابن الوزير، العواصم من القواصم (٧/٢٥٥)، المنياوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية (٢/٣٦٠-٣٦١).

(٢) السمرقندي، بحر العلوم (٣/٦٠٤).

(٣) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٥٩٣).

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٢٤٧)، والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٨هـ) (٥/٢٣٨-٢٣٩).

(٥) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٢٤٦-٢٤٧).

الأول: المنافقون، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، قال ابن تيمية: «وأمثال هذه النصوص كثير في القرآن، فهذه كلها يدخل فيها المنافقون، الذين هم في الباطن كفار، ليس معهم من الإيمان شيء، كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر؛ بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار، كما أخبر الله بذلك في كتابه»[١].

الثاني: القاتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: (من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا)[٢].

ومع ثبوت استحقاق أصناف أخرى غير أهل الكفر والشرك للخلود في النار إلا أن الله -سبحانه- أحل لهم الشفاعة وقدر مغفرته لهم لإخراجهم من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٨٦، ٩٧]، وقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وهذا مما «تقتضيه العدالة الإلهية بين البشر، بعد أن أوضح الله لهم سبل الهداية، وأرشدهم إلى طريق العبادة الصحيحة؛ إذ لا يستوي الموحدون والمشركون في ميزان الله تعالى، فالموحدون يستحقون الأجر والثواب على توحيدهم؛ لربهم وإخلاصهم له في العبادة، والمشركون بالله يستحقون العذاب والنكال على شركهم وعصيانهم لله الذي خلقهم، واتباعهم طرق الغواية، وتنقصهم لرب العالمين»[٣].

وإذا نظرنا إلى حال من استحق الخلود في النار وهم فريقان:

أحدهما: كفار أهل الكتاب، وكان كفرهم على علم، أمكن قياس غيرهم عليهم، حملًا على «أن هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد»[٤].

والثاني: المشركون، وكان كفرهم أولًا على جهل، ثم تبعه عناد وتكبر، مع أنهم كانوا قبل البعثة ينتظرون مبعث النبي المنتظر للإيمان به[٥]، كما جاء في مطلع السورة، قال تعالى:

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي، «الإيمان»، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط٥، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م) (٤٨).

(٢) البخاري، الصحيح، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه، من كتاب الطب، برقم: ٥٧٧٨ (١٤٠/٨)، ومسلم، الصحيح، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، من كتاب الإيمان، برقم: ١٠٩ (١٠٣/١)، واللفظ للبخاري.

(٣) الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، «منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام»، (ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م) (٥٤٢/١).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٤٨/٣٢).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٣٩/٢٤).

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: ١-٣]، ولهذا يمكن القول إن من يعبد الله على جهل فهو في خطر الانتكاس، «لذلك قال جميع علماء الإسلام: إن هذا العلم مفروض تعليمه وتعلمه على الرجل والمرأة وواجب على كل مسؤول من والد ووالدة ومعلم ووصي ومرب وأمثالهم أن يهتموا بتنشئة الأطفال على فهم مبادئه، على أن يُعطى كل حسب قدرته العقلية والنفسية، فيتدرج في تعليمه كما يتدرج في تعليم أي علم ذي أهمية وشأن»[1].

المطلب الثالث: الهوي في النار ومستحقوه.

ذكرنا في المطلب الأول من المبحث الأول أن الهاوية من أسماء النار؛ لأن من دخلها يهوى به فيها، والهوي بمعنى التردي، وهو أحد صنوف العذاب في نار جهنم حيث يلقى بمن وجبت له النار فيها فيهوي فيها بلا ثبات ولا قرار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨-١١].

وقد جاء عن أهل التفسير في معنى ﴿أُمُّهُ﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد به الهاوية جهنم؛ سماها أُمًّا له لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه، وقد سبق.

الثاني: أنه أراد أُمّ رأسه يهوي عليها في نار جهنم[2]، وعلى هذا المعنى يأتي تصوير الهوي، وهو أن يلقى على رأسه في نار جهنم[3]، وقد جاء في الحديث (وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)[4].

وعلى هذين المعنيين اطرد المفسرون، والمعنيان صحيحان، ولكل معنى ما يشهد له، ولا تناقض بينهما، وقد أعد الله هذا العذاب لمن خفت موازينه كما جاء في الآية وهو نقيض من ثقلت موازينه، أما ﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فهم المؤمنون، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فقد وقع الخلاف في المراد به على أقوال، قال أبو منصور الماتريدي: «أقربها عندنا وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد من قوله: ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جملة المؤمنين، وقوله -عز وجل-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، جملة الكفار، ويكون الوجه في ذلك أن المؤمن لما عظم حق الله -تعالى- وأقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر عند الله -تعالى- في ذلك اليوم، والكافر

---

(١) أيوب، حسن محمد، «تبسيط العقائد الإسلامية»، (ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) (٢١).

(٢) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٣٢٩/٦)، والطبري، جامع البيان (٥٧٥/٢٤)، والماتريدي، تأويلات أهل السنة (٦٠٦/١٠).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٧٥/٢٤).

(٤) الترمذي، السنن، باب ما جاء في حرمة الصلاة، من أبواب الإيمان، برقم: ٢٦١٦ (١٢/٥)، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، «السنن»، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية)، السنن، باب كف اللسان في الفتنة، من كتاب الفتن، برقم: ٣٩٧٣ (١٣١٤/٢)، وأحمد، المسند، في مسند معاذ بن جبل، برقم: ٢٢٠١٦ (٣٤٥/٣٦).

لمـا تـرك ذلك، خف وزنه وقيمته وخطـره، وقد يطلق -واللَّه أعلم- هذا الـكلام على معنى الجاه والمنزلة، يقال: لفلان عند فلان وزن وقيمة، وليس عنده ذلك الوزن، فكذلك هذا.

والوجه الثاني: من وزن السرائر التي لم يُطْلِع لله -تعالى- ملائكتَهُ الذين يكتبون أعمال بني آدم ذلك، ومعلوم أن ذلك إنما يحصل من المؤمنين دون الكفرة»[١].

فعلـى القـول الأول: إن من خفـت موازينه هم الكفـار، والميزان مجاز وليـس حقيقة، وهذا مذهب منكري الميزان، وحملوا الوزن في الآية على العدل، والثقل والخفة على الجاه والاعتبار، أما أهـل الحق فيرون أن الميـزان حقيقي[٢]، كما دلت عليه ظواهر النصوص التي لا ضرورة لتأويلها؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقولـه تعالـى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وبعيـدًا عـن الجدل في حقيقة الميزان لعدم دخوله تحت موضوعنا يبقى الخلاف فيمن ستعرضـ أعمالـه على الميـزان؛ حيث يرى أصحاب القـول الثاني أن الميزان خـ ـس بالمؤمنين، وكلا القوليـن لا يخلو مـن التأويل، والكلام ظاهر في العموم، ﴿وَأَمَّـا مَنْ خَفَّتْ﴾، و(مَن) من صيـغ العمـوم، «أي: رجحت سيئاته على حسناته، أو لم تكن له حسنـات يعتد بها، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ»[٣]، ومعنى جملة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها، أو ترجحت سيئاته على حسناته[٤] وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- «يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر مـن سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار»[٥]، فيكون الذين خفت موازينهم الكافرين وفريقًا من المؤمنين:

أمـا الكافـر فلأنه لا يكون له عمـل صالح[٦]؛ «لأنـ لا يرى شيئًا مما كسـب إلا صار كالرماد، فاشتـدت به الريح في يوم شديد الريح، وكما أنـه ليس في الأرض شيء أخبث من الشرك، فهكذا ليس شيء أخف من الشرك في الميزان، ولا إله إلا الله ثقيلة، وصاحبها ثقيل كريم رزين عند الله -عز وجل- فيأتي صاحب التوحيد بأعماله الصالحة فيثقل ميزانه، ويأتي صاحب الشرك بأعماله

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦٠٥-٦٠٦).

(٢) انظر: السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية «شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»»، المحقق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، (ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) (٢١٨٠).

(٣) الشوكاني، فتح القدير (٥/٥٩٤).

(٤) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (٥/٣٣٣).

(٥) الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، «روح البيان»، (دار الفكر - بيروت) (١٠/٥٠٠)، والأثر من روايات نعيم بن حماد، انظر: ابن المبارك، الزهد والرقائق (٢/١٢٣).

(٦) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٣/٦١١-٦١٢).

الطالحة فلا تكون له حسنة توزن معه فهو خفيف»[1].

وأما المؤمن فالثابت عند أهل الحديث أن الحسنات والسيئات للموحدين توزن بميزان يوم القيامة للأدلة المذكورة، وما ورد من الأحاديث النبوية التي تبلغ حد التواتر، خلافًا للقدرية والمعتزلة[2]، ولكن لا خلود له في النار، «إنما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار، ف قتص منه على قدرها، ثم يخرج منها، فيدخل الجنة، أو يعفو الله عنه بكرمه، فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته»[3].

وبثبوت وزر أعمال المؤمنين، وتردي من خفت موازينه منهم في النار إلا أن يعفو الله عنه برحمته، وبالعودة إلى ما جاء في القول الثاني من أن المقصود وزن السرائر التي لم يُطْلِعِ اللَّهُ تعالى ملائكتَهُ، وحصر هذا بالمؤمنين، فلا شك أن هذه السرائر داخلة في الحساب، سواء كان الميزان خاصًا بسرائر المؤمنين، أم عامًا بكل ما فعلوه، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، نقول ما أكثر سرائرنا اليوم، وما أكثر وسائلها من خير أو شر؛ فبانتشار وسائل التواصل والإعلام المرئية والمسموعة بات الإنسان قادرًا على النظر لكل ما يريد وسماع كل ما يريد بضغطة زر وهو على فراش نومه، وهو مخير بين استعمالها في الخير أم في الشر، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وإن كانت الأعمال صغيرها وكبيرها تعرض على الميزان، وليس الإيمان مانعًا من ذلك، فعلى كل مؤمن حيث يقرأ هذه السورة أن يعلم أن طريق الجنة والنار بين يديه أو في جيبه، ليتقي الله في سره وإعلانه.

المطلب الرابع: العذاب النفسي.

العذاب النفسي المعنوي الذي تحمله النار له مواضع في قصار المفصل يفهم منها، وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٥-٧]، وهو أكثر النصوص ظهورًا، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١-٣]، وهو محمول على قول من فسر القارعة على أنها العذاب؛ لأنها تقرع قلوب الناس بهولها[4]، ومنها الاستفهام في قوله تعالى: ﴿

(١) مقاتل، التفسير (٨١٢/٤).

(٢) انظر: العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، «الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار»، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (ط١، أضواء السلف -الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م) (٧٢٠/٣)، والسفاريني، لوائح الأنوار السنية (٢١٨٠).

(٣) الخازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، «لباب التأويل في معاني التنزيل»، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، (ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ) (٤٦٢/٤).

(٤) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٣٢٧/٦).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١٠]، تعظيمًا لشدتها[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهمزة: ٥-٦] على التعظيم لشأنها، والتفخيم لأمرها[٢].

قال الشوكاني في سورة القارعة: «هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود، بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدري كنهها، ثم بينها سبحانه فقال: ﴿نارٌ حامِيَةٌ﴾؛ أي: قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية، وارتفاع نار على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي نار حامية»[٣]، ولا يختلف عنه ما في سورة الهمزة، وكذلك ما في بداية القارعة إن حملنا معنى القارعة على العذاب.

ولا شك أن هذه المعاني تظهر في أهل الدنيا، والقصد منها تنبيه الغافل، تبصير اللاهي، وزجر العاصي، عسى أن يتوب ويرجع، ثم يوم القيامة وعرض الصحف «عندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله، فيرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار، فإنه يدعو بالثبور والهلاك ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢]»[٤]؛ لسبق علمه بصفات النار وما فيها من صنوف العذاب، وهذا عذاب نفسي يسبق العذاب الحسي الذي سيطال جسده.

وجاء في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] وجهان: «أحدهما: يرونها عند الموت، والثاني: أي: يرونها بالتفكر والنظر في آيات الله وحججه في الدنيا»[٥]، وهذا مما يسبق الآخرة، وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]، وهذا «ليس على الرؤية خاصة؛ ولكن على الوقوع فيها»[٦] أيضًا، قال السمرقندي: «﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ يوم القيامة عيانًا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ يعني: يدخلونها عيانًا لا شك فيه»[٧].

ثم يختم الله تعالى سورة التكاثر بما سيسأل به أهل النار بعد دخولهم فيها بقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، وهذا التقريع والتوبيخ منوط بشكر النعمة كما هو ظاهر في الآية، وعليه فإنه لم يكن خاصًّا بالكفار؛ فأما سؤال المؤمنين فمحمول على «تذكيرهم أن أعمالهم لم تبلغ ما يستوفي بها شكر النعمة التي أنعمها عليهم، وليعلموا أن الله -تعالى- تفضل

(١) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٣/٦١١-٦١٢).
(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٨٤-١٨٥).
(٣) الشوكاني، فتح القدير (٥/٥٩٥).
(٤) الأشقر، الجنة والنار (١٠٦).
(٥) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦٠٩).
(٦) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٢/٤٤٧).
(٧) السمرقندي، بحر العلوم (٣/٦١٤).

عليهم، وتجاوز عنهم، ليس لأن أعمالهم بلغت مرتبة استوجبوا رحمته بها؛ بل بكرمه وفضله، وأما الكفرة فإنهم يسألون عما تركوا من الإيمان بالله -تعالى- وبما أتى إليهم الرسول ﷺ وبغير ذلك من النعيم[1]، فينادي «يا أهل الـ رش والوسائد والنعمة في دار الدنيا، كيف تجدون مس سقر؟ قالوا: يأتينا العذاب من كل مكان، فهل إلى أن نموت ونستريح، قال فيقول: وعزة ربي لا أزيدكم إلا عذابًا، قال فذلك قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؛ يعني: الشكر للنعيم الذي أعطاه الله -عز وجل-، فلم يهتد ولم يشكر، يعني الكافر»[2].

ومما يدل على العذاب النفسي مما ورد في قصار المفصل ما جاء عن بعض المفسرين من حمل الويل على التقبيح أو الحزن أو الخزي والهوان، فكلها معاني صور للعذاب النفسي، وإن لم يظهر لها آلام على الجسد.

ومنه أيضًا الأخذ بالنواصي كما مر في المطلب الأول من هذا المبحث؛ لأن الإذلال صورة من صور العذاب النفسي، وكذلك الهوي في النار على الرؤوس، وهو من الانتكاس، والمعاملة بنقيض الادعاء.

ومنه تطويق الأعناق بالقيود والأغلال، كما سيأتي في المطلب السابع -إن شاء الله- إذ ليس تطويق العنق بأشد إيلامًا على الجسد من لهب النار وحريقها، ولكن القصد منه إشعار أهل النار بالضعف والهوان والذل بالربط على أعناقهم.

المطلب الخامس: الويل ومستحقوه.

جاء معنا في المبحث الأول أن في معنى الويل ستة أقاويل، وبنينا الدراسة هناك على أنه واد في جهنم، وقبل أسطر حملناه على إرادة الكلام النفسي بناء على أنه بمعنى التقبيح أو الحزن أو الخزي والهوان، وهذا المطلب مبني على كون الويل وصف للعذاب، وبيان ما تعلق به في سياقه، وليس في هذه المعاني تناقض؛ إذ يحتمل أن يكون من المشترك اللفظي، سواء بالوضع أم بالتواطؤ، خصوصًا أنه لم يرد -بحسب ما نعلم- شيء يبطل أحد الأقوال، ومن تدبر في آي القرآن التي جاء بها ذكر الويل يجدها قد استعملت في معاني متغايرة؛ كقول ابن آدم ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]، وقول امرأة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، ففي الأولى للحسرة والثاني للتعجب، كما يظهره سياق الآيات.

لقد ورد الويل في القرآن الكريم في عدة مواضع منها اثنان في سور قصار المفصل، وهما؛ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهمزة: ١-٢]، وقوله:

(١) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦١٠).
(٢) مقاتل، التفسير (٤/٨٢٠-٨٢١).

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون: ٤-٧]، والظاهر من وروده في هذين الموضعين أن المقصود به الوعيد بالعذاب.

فقوله تعالى في سورة الهمزة: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾، «استئناف بياني ناشئ عن ما تضمنته جملة: يحسب أن ماله أخلده، من التهكم والإنكار، وما أفاده حرف الزجر من معنى التوعد»[1]، والكلام لابن عاشور؛ حيث أراد ترتب الزجر والوعيد هنا على من جاءت صفاته فيما سبق، وهو الهمزة اللمزة الذي جمع مالًا وعدده، وظن أن ماله سبب لخلوده[2]، فتوعده الله بخلاف قصده.

وقوله في سورة الماعون: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾، «موقع الفاء صريح في اتصال ما بعدها بما قبلها من الكلام على معنى التفريع والترتب والتسبب،.. يكون المراد بالمصلين عين المراد بالذي يكذب بالدين، ويدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فقوله للمصلين إظهار في مقام الإضمار؛ كأنه قيل: فويل له على سهوه عن الصلاة، وعلى الرياء، وعلى منع الماعون، دعا إليه زيادة تعداد صفاته الذميمة بأسلوب سليم عن تتابع ست صفات؛ لأن ذلك التتابع لا يخلو من كثرة تكرار النظائر فيشبه تتابع الإضافات الذي قيل إنه مناكد للفصاحة، مع الإشارة بتوسط ويل له إلى أن الويل ناشئ عن جميع تلك الصفات التي هو أهلها»[3].

وهذا لا يمنع من أن يكون الويل واديًا أو جبلًا في جهنم، ويكون استعماله من باب استعمال البعض للدلالة على الكل؛ لأن الكل لازم له، فالتعبير بالويل يلزم منه الدلالة على العذاب وعلى جهنم، بخلاف التعبير بالعذاب وبجهنم فلا يدل بالضرورة على هذا البعض، كما لا يمنع من اجتماع الحسرة والحزن والخزي والتقبيح معه، فيكون الويل جامعًا للعذاب النفسي والبدني، وقد يكون لمن استحقوه موطن خاص في جهنم.

واقترن التهديد بالويل في السورتين بأوصاف لمستحقي العذاب، فيه إيماء وتنبيه بأن من اتصف بصفة من هذه الصفات فقد استحق العذاب، حتى لو كان مسلمًا، ومن باب أولى من جمعها فهو بالعذاب أحق، وعلى القول إنها نزلت في الكفار أجاب أبو منصور الماتريدي إن الكفر لم يكن قبيحًا لاسمه، ولا الإيمان حسن لاسمه، فكل إنسان منا مؤمن بشيء وكافر بشيء آخر، وإنما قبح الكفر لما فيه من المعاني التي تأباها الحكمة، وجماع كلامه أن التعبير بهذه الصفات أبلغ في البيان من التعبير بمجمل الكفر؛ ولما فيه من تعيير لهم بأوصافهم الذميمة، وفيه موعظة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٣٩).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٣٧-٥٣٩).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٦٦-٥٦٧).

للمؤمنيـن؛ إذ الـ قـلاء يمتنعون عن الأفعال القبيحـة[1]، وقد ذكر أهل العلم مـا في كل صفة من الصفـات المذكورة في السورتين من معاني القبح، بما يطـول ذكره، ويخرج البحث عن مضمونه الأصلي.

وهذا بيان موجز لمن يستحقون الويل الذين ورد ذكرهم في سورتي الهمزة والماعون:

﴿كُلِّ هُمَـزَةٍ لُمَـزَةٍ﴾؛ أي: «المشـاؤون بالنميمـة، المفرقون بيـن الأحبـة، الباغون أكبر العيب»[2].

﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾؛ أي: «الذي جمع مالًا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه»[3].

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَـاهُونَ﴾ «قال بعضهم: عُنِيَ بذلك أنهم يؤخِّرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها»[4]، وعلى هذا الوعيد لمن ترك أداءها أولى.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؛ أي: «الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا؛ لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم»[5].

الذيـن ﴿يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ وهم من «يمنعون النـاس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته، يقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون»[6].

وعلى عطف الكلام على ما قبله في سورة الماعون، فإن منهم أيضًا:

﴿الَّـذِى يُكَـذِّبُ بِالدِّينِ﴾، وهو «الذي يكـذّب بثواب الله وعقابه، فـلا يطيعه في أمره ونهيه»[7].

والذي ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾؛ هو الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويظلمه[8].

والذي ﴿لا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ هو من «لا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام»[9].

---

(١) انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (١٠/٦١٤-٦١٥).
(٢) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٩٦).
(٣) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٩٨).
(٤) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٣٠).
(٥) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٣٣).
(٦) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٣٤).
(٧) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٢٩).
(٨) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٢٩).
(٩) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٣٠).

المطلب السادس: وصول العذاب إلى الأفئدة.

ورد وصف عذاب النار بأنه يصل إلى الأفئدة في قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٦-٧]، قال الزجاج: «ومعنى ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة»[١]؛ أي: أنها «تأكل اللحم والجلود حتى يخلص حرها إلى القلوب، ثم تكسى لحمًا جديدًا، ثم تقبل عليه وتأكله حتى يصير إلى منزلته الأولى»[٢]، وقد يكون هذا الصنف من العذاب تفسيرًا للويل الذي ابتدأت به السورة.

ولبلوغ حر النار وإحراقها إلى الأفئدة معنيان، أحدهما حسي والآخر معنوي؛ أما الحسي: فلأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣]، فهي تصل إلى القلب ولا تحرقه؛ لأن القلب إذا احترق، لا يجد الألم، فيكون القلب على حاله[٣]، وأما المعنوي: فلكي «تؤلم كل أحد بقدر ما في قلبه من المعصية التي واقعها فصار معاقبًا عليها، فإن محل الدواعي كلها هو القلب، والأفعال إجابة عن الأعضاء لتلك الدواعي مختلف مقاديرها وما يستحق بها بحسب اختلاف تلك الدواعي في أنفسها»[٤]، وذلك أن الله -تعالى- قد أودع في النار علمًا به «تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه، ويقال: اطلع فلان على كذا؛ أي: علمه، وقد قال الله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، فوصفها بهذا، فلا يبعد أن توصف بالعلم»[٥]، فهي تنادي وتدعو من أدبر وتولى عن الحق وأعرض عنه ولم يؤمن به، ولها تغيظ وزفير؛ أي: غضب وغيظ، صدر له صوت شديد من شدة هذا الغيظ.

وبما أن هذا الصنف من العذاب جاء في سياق الويل وهو تفسير وبيان له، فإن مستحقي الويل هم من تطلع النار على أفئدتهم.

المطلب السابع: تطويق الأعناق بالقيود ونحوها.

ورد الإخبار من الله -سبحانه- عن تطويق أعناق أصحاب النار بالأغلال والسلاسل والقيود والحبال في مواضع من القرآن، منها ما وقع في سور قصار المفصل بصريح اللفظ أو على التأويل.

فمما جاء صريحًا قوله تعالى في امرأة أبي لهب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ٤-٥]، وتأويلًا حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿فِي

(١) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (٣٦٢/٥).
(٢) مقاتل، التفسير (٨٣٧/٤-٨٣٨).
(٣) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (٦١٦/٣-٦١٧).
(٤) الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان (٣٦٩/١).
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/٢٠-١٨٥).

عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] عليه، «قال ابن عباس: إن العمد الممددة أغلال في أعناقهم، وقيل: قيود في أرجلهم»[١]، وقيل في وصف هذه الأغلال إنها «سلاسل وأغلال مطولة، وهي أحكم وأرسخ من القصيرة»[٢].

أما في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، فقد جاء في صفة الحبل سبعة أقاويل، منها: إنه سلسلة من حديد، وقيل: حبل من ليف، وقيل: قلادة من ودع، وقيل: إنه إشارة إلى الذلان، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد، وقيل: إنه لما حملت أوزار كفرها صارت كالحاملة لحطب نارها التي تصلى بها[٣]، «وعلى كل الأحوال فإن النص يفيد الإذلال والمهانة على ما كانت تفعله في الدنيا»[٤].

والعمل الذي استوجبت به هذا العذاب وردت فيه «أربعة أوجه؛ أحدها: أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي ﷺ ليلًا، قاله ابن عباس، الثاني: أنها كانت تعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، فكان يحتطب فعيرت بأنها كانت تحتطب، قاله قتادة، الثالث: أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن والسدي، فسمي الماشي بالنميمة حمال الحطب؛ لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب،... الرابع: أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله ﷺ؛ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار»[٥].

ومن خلال هذه الأقوال -سوى الثالث- فإن الإخبار هنا وارد على الخصوص، فخصت بالذكر والوعيد بهذا العذاب؛ تعظيمًا لمقام النبوة، وعظم معاداة النبي ﷺ والسورة كلها تحمل على أن «يقال: سحقًا لمن لا يعرف قدرك - يا محمد، وبعدًا لمن لم يشهد ما خصصناك به من رفع محلّك، وإكبار شأنك ... ومن ناصبك كيف ينفعه ماله؟ والذي أقمناه لأجلك وقد أساء أعماله فإنّ إلى الهوان والخزي مآله، وإنّ على أقبح حال حال امرأته وحاله»[٦].

أما وضع السلاسل على الأعناق فليس بخاص بها؛ لورود أدلة أخرى تثبت الوعيد بها لغيرها، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقوله: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٢٠).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٢٠).

(٣) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٣٦٧/٦-٣٦٨).

(٤) حوى، سعيد، «الأساس في السنة وفقهها العقائد الإسلامية»، (ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) (١٣٧١/٣-١٣٧٢).

(٥) الماوردي، النكت والعيون (٣٦٧/٦).

(٦) القشيري، لطائف الإشارات (٧٨١/٣).

وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، «والعرب تسمي العنق جيدًا»[١].

أما على القول الثالث فإن هذا العذاب سيكون عامًا لها ولكل من يمشي بالنميمة بين الناس؛ بل إن المشي بالنميمة أشد أذى من حمل الحطب ووضع أشواكه على طرق الناس؛ لأن أذى النميمة متعدي، وأذى الأشواك قاصر على من داسها، وقد استعارت العرب اسم الحطب للنميمة؛ لما فيها من إشعال نار الفتنة والاقتتال بين الناس، كما يشعل الحطب وهج النار، قال شاعرهم:

إنّ بني الأَدْرَم حَمّالو الحَطَبْ ... هم الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ[٢].

إلا أن يتعلق الأمر بمقام النبوة فذاك يضاعف له العذاب.

ومن مقام المناسبة ما ذكرنا من تأويل ﴿عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ بالأغلال، والسورة مفتتحة بالوعيد لكل همزة لمزة، وقد فسر بعض المفسرين الهمزة بأنه «مغتاب للناس، يغتابهم ويبغضهم»[٣].

الخاتمة:

وفي الختام نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، ويتقبله منها قبولًا حسنًا، وينفعنا بما توصلنا إليه من فوائده التي من أبرزها:

أولًا: النتائج.

إن سور قصار المفصل قد حوت كثير من صفات النار وصنوف العذاب الوارد ذكرها في القرآن الكريم عمومًا.

إن العذاب في النار لا يقتصر على العذاب الجسدي المادي؛ بل إن فيها عذاب نفسي معنوي أيضًا.

ورد من أوصاف النار في قصار المفصل ما يأتي: جهنم، الهاوية، وهما اسمان مشتقان من بعد قعرها، الجحيم؛ لشدة حرارتها فهي نار على نار وجمر على جمر، وهو ناتج عن كونها موقدة وذات لهب، والحطمة؛ لأنها تحطم كل شيء يقع فيها، وأنها خالدة لا تفنى، وسجن للكافر توصد أبوابها عليه.

إن الويل في تفسيره ستة أقوال، أبرزها: وادي في جهنم، وأنه الحزن والحسرة والندامة، وأنه العذاب.

إن ما جاء من صنوف العذاب في قصار المفصل لسبب خ ص؛ كالوعيد لأبي جهل في سورة العلق، وامرأة أبي لهب في سورة المسد، لم يكن العذاب في أصله خاصًا بهم كما يظهر، وإنما

(١) الطبري، جامع البيان (٢٤/٦٨٠).

(٢) انظر: الماوردي، النكت والعيون (٦/٣٦٧).

(٣) الطبري، جامع البيان (٢٤/٥٩٥).

الوعيد نفسه هو الخاص.

إن جميع صنوف العذاب الواردة في قصار المفصل جاءت معللة بما يفيد عموم الوعيد لكل من عمل عملًا مما تعلق به الوعيد أو اتصف بصفة مما قرن العذاب بها.

إن تعلـق الوعيد والعذاب بالأفعـال والأوصاف يدل دلالة ظاهرة أنـه ليس حكرًا على طائفة ولا جماعـة مـن الناس، وإنما هو معتد للأفراد فمن عمل عمـلًا متوعدًا به فقد استحقه سواء كان مسلمًا أم كافرًا، وإنما الفرق بين المسلم والكافر موكول لرحمة الله تعالى.

ثانيًا: التوصيات.

توصـي هذه الدراسـة بدراسة الأحـكام الشرعية التكليفية فـي قصار المفصـل، بأنواعها الثلاثـة: العقدية (وهي كثيـرة)، والأخلاقية، والعملية، سواء ما دل عليـه اللفظ أو لازمه، فهي لا تختلف عن هذه الدراسة في الأهمية والأسباب.

قائمة المصادر والمراجع

ابـن أبـي حاتـم، أبو محمد عبـد الرحمن بن محمـد التميمـي، الحنظلي، «تفسيـر القرآن العظيـم»، المحقق: أسعد محمد الطيب، (ط٣، المملكة العربيـة السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.).

ابـن تيميـة، تقي الديـن أبو العباس أحمد بن عبـد الحليـم الحراني الحنبلـي الدمشقي، «الإيمـان»، المحقـق: محمـد ناصـر الدين الألبانـي، (ط٥، المكتـب الإسلامي، عمـان، الأردن، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م).

ابـن عاشور، محمـد الطاهر التونسـي، «التحرير والتنوير= تحرير المعنـى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

ابـن عطية، أبو محمد عبد الحـق الأندلسي المحاربي، «المحرر الوجيـز في تفسير الكتاب العزيز»، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

ابـن كثير، أبـو الفداء إسماعيل بن عمر بـن كثير القرشي البصري ثـم الدمشقي، «تفسير القرآن العظيم»، المحقق: محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

ابـن ماجـه، أبو عبـد الله محمد بن يزيـد القزويني، «السنـن»، المحقق: محمـد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية).

أبـو السعـود، العمادي محمد بن محمد بـن مصطفى، «تفسير أبي السعـود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، (دار إحياء التراث العربي -بيروت)

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، «المسند»، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، «معاني القرآن»، المحقق: هدى محمود قراعة، (ط١، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ. -١٩٩٠م).

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، «الجنة والنار»، (ط٧، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م).

الأصبهاني، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المديني، «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث»، المحقق: عبد الكريم العزباوي، (ط١، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية).

أيوب، حسن محمد، «تبسيط العقائد الإسلامية»، (ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري»، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ).

البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، «قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (ط١، دار الفضيلة الرياض -المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٨هـ).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى، «السنن»، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخران، (ط٢، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ه -١٩٧٥م).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م).

الحليمي، الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني، «المنهاج في شعب الإيمان»، المحقق: حلمي محمد فودة، (ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

الحميري، نشوان بن سعيد، «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم»، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخران، (ط١، دار الفكر المعاصر -بيروت -لبنان، دار الفكر -دمشق سورية، ١٤٢٠هـ. - ١٩٩٩م).

حـوى، سعيد، «الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية»، (ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

الخـازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، «لباب التأويل في معاني التنزيل»، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، (ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ).

الخلوتـي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولـي الحنفي، «روح البيان»، (دار الفكر بيروت).

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري، «مفاتيح الغيب = التفسير الكبير»، (ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ).

الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، «منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام»، (ط١، عمـادة البحث العلمي بالجامعـة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكـة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م).

الزجـاج، أبـو إسحاق إبراهيم بن السـري، «معاني القرآن وإعرابـه»، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

السفارينـي، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية «شـرح قصيـدة ابن أبـي داود الحائيـة في عقيدة أهـل الآثار السلفيـة»»، المحقـق: عبد الله بن محمـد بن سليمـان البصيري، (ط١، مكتبة الرشـد للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،١٤١٥هـ -١٩٩٤م).

السمرقنـدي، أبـو الليث نصـر بن محمد بن أحمد بـن إبراهيم، «بحر العلـوم»، (الشاملة، ترقيم موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير).

الشاطـئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، «التفسيـر البياني للقرآن»، (ط٧، دار المعارف القاهرة).

الشوكاني، محمد بن علي، «فتح القدير»، (ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ه).

الطبـري، أبو جعفر محمد بن جريـر، «جامع البيان عن تأويل آي القـرآن»، المحقق: أحمد محمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

العسكـري، أبـو هلال الحسن بن عبـد الله بن سهل بن مهران، «الفـروق اللغوية»، المحقق: محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر).

العمرانـي، أبـو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمنـي الشافعي، «الانتصار في الرد علـى المعتزلـة والقدرية الأشرار»، المحقـق: سعود بن عبد العزيز الخلـف، (ط١، أضواء السلف -الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م).

القرطبـي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين، «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، المحقق: أحمد البردوني وآخر، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

القشيـري، عبد الكريم بن هـوازن بن عبد الملك القشيري، «لطائـف الإشارات»، المحقق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

الماتريـدي، محمد بن محمد بـن محمود، أبو منصور، «تأويلات أهـل السنة»، المحقق: د. مجدي باسلوم، (ط١، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

المـاوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، «النكت والعيون»، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية).

مسلـم، بن الحجاج أبو الحسـن القشيري النيسابوري، «المسنـد الصحيح المختصر بنقل العـدل عن العـدل إلى رسـول الله ﷺ»، المحقق: محمد فـؤاد عبد الباقي، (بيـروت، دار إحياء التراث العربي).

مقاتـل، بن سليمان بن بشيـر الأزدي البلخي، «التفسير»، المحقق: عبد الله محمود شحاته، (ط١، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٣هـ).